صوت الادب الفلسطيني

حين يرتفع صوت الادب الفلسطيني ، يختلط الصوت برجع الدماء . أو هكذا نفترض حين نقرأ عنوانا كاملا لعدد خاص تصدره مجلة أدبية كمجلة « الآداب » . فالصوت الفلسطيني ، ليس فلسطينيا ، الا بمقدار قدرته على تكثيف تجربة الرؤية الثورية العربية في الثقافة والادب ، داخل حقل ممارسة دموي ، رسمت خريطته آلاف الانتفاضات ، وأجساد الرجال الذين سقطوا وعيونهم تفيض بالحلم الثوري . حلم تأسيس رؤية جديدة . فالحقل الثقافي العربي ، هو حقل صراع داخلي هم مركزي ، هو هم اكتشاف الذات الواقعية . أي هم اكتشاف منافذ جديدة للرؤية التي تصاغ على ايقاع ممارسة جماهيرية صاخبة. لتكون هذه الرؤية صوت الممارسة او اقرب الاصوات اليها ، ولتحاول اعادة تلك الوحدة التي فقدناها تحت ضربات قرون الذل والاغتراب. لذلك كانت فلسطين احدى اكثر المحطات أهمية ومركزية . فعلى أطرافها ، من سيناء الى الجولان الى الجنوب اللبناني ، تشتعل الارض بصراع يلخص مجمل صراعاتنا ويكثفها في نقطة تحدي الوجود الكبرة، الذي تفرضه علينا صليبية جديدة، استطاعت ان تمزق شعبنا لحظة ، ثم كانت فاتحة لمرحلة الانتفاضات الثورية العربية الجديدة .

بهذا المعنى ، يكون كل أدب عربي ، يحمل هموم مسيرة المطابقة ، فلسطينيا ، بمقدار ما هي فلسطين رمزنا الدموي . واذا كانت الاحتفالية العربية بمولد الادب الفلسطيني المقاوم ، كانت تعبر ، من جملة اشياء اخرى ، عن فرح النهر باكتشاف احد روافده . فانها في المقابل حملت خصوصية **المكان** الى أدبنا المعاصر . فأتى هذا المكان ، من موقع هموم يومية تتمركز في بؤرة صراع هي كثافة التاريخ وهو يحمل أصوات الشعوب في مواجهة أعدائها . لذلك كان المكان نقطة صدام ، ولم يكن حنينا فولكلوريا . كان وهج الرياح الساخنة . نقل نفسه من تمحور جغرافي حنيني الى زمن تاريخي يبشر بالولادات . هكذا نفهم صوت الشعر الرؤيوي الذي يصيغه الوعي المأساوي الفلسطيني في أكثر لحظاته جدلية ومعاناة . أو هكذا يرتفع صوت « المتشائل » في تلخيصه لآفاق الصراع الذي يشير اليه حوار « الاعمى والاطرش » وهما يكتشفان ثورتهما الممكنة من جديد .

الولادات في زمن الموت ، هي رؤيتنا الجديدة للعناصر التي تولد وهي تحمل اشارات دمائنا . لذلك نولد لحظة النزع ، وتنفجر اجساد الرجال شعرا جميلا ، وهي ترسل أنينها الاخير .

العدد الخاص

لا تصلح هذه المقدمة ، مقياسا نقديا ، لعدد خاص أصدرته الآداب ، وحشدت فيه أكثر الاسماء الفلسطينية . لكنها تصلح كمؤشر نقدي لمناقشة معنى هذا العدد الخاص ، حين لا يحمل سمات الحلم الثوري وهو يحتضن تجربتنا المأساوية بشكل شامل . فحين تصدر مجلة ثقافية ، عددا خاصا ، حول موضوع معين ، فانها تكون بذلك ، قد أرادت أن تضيف شيئا جديدا الى قناعاتنا حول الموضوع الذي جرى اختياره. أو هي تريد في أبسط الاحوال أن تعيد تقييم أدب معين بمقاييس جديدة تضيف الى تقييمنا السابق . لكن أي قراءة متأنية لعدد « الآداب » الاخير ، لا تشير الى احد هذين الاحتمالين . فالعدد تجميعي عشوائي ، لا يجمعه مقياس واحد ، او هو بغير مقاييس نقدية او فنية، نرى الاسماء وقد وضعت خلف بعضها ، وتتوالى القصائد والقصص القصيرة والدراسات النقدية ، لتشكل عودة الى الوراء . فاذا كنا ، على المستويين الابداعي والنقدي ، بدأنا رحلة الخروج من « قدسية » الادب الفلسطيني ، لنقوم باعادة تقييمه بمقاييس علمية فنية ، او لتأتي الاصوات الابداعية مضيفة اليه نفس التعدد والابعاد الشاملة . فان هذا العدد هو خطوة الى الوراء. لانه يكرس البعد الرومانسي، والرداءة ، بوصفهما مقاييس جديدة للادب الفلسطيني . ان رحلة البحث التي يخوضها أدبنا العربي المعاصر ، بحثا

---

* مجلة **الآداب** . بيروت . العدد ١١ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٤ .